منهج سوسير في دراسة اللغة

(ثنائيات أم ثلاثيات؟)

د. حيدر غضبان محسن الجبوري

كلية الآداب / جامعة بابل

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا الأكرم محمد وعلى آله وسلّم، وبعد...

فيعد هذا البحث محاولة لقراءة منهج سوسير في محاضراته من خلال ثنائياته وقد سعيتُ فيها إلى عكس تصوري لرؤية سوسير إلى تلك الثنائيات ونقد رؤيته تلك ببيان مواطن الدقة والقصور فيها، ورؤية الدارسين إليها ونقدها. وقد اعتمدتُ على مبدأ (تراتب الثنائيات وتعالقها) في عرض آراء سوسير ومن عالج آراءه ومناقشتها. فجاء البحث بعدة موضوعات متراتبة هي:

- فكر سوسير الثنائي.
- علاقة ثنائيات سوسير بهدف الدراسة:
  - تصور الدارسين.
  - تصورنا لهدف سوسير من محاضراته.
- الثنائية الكبرى: (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية)
- الثنائيات الصغرى.

أولا: اللغة والكلام:

أ. ثنائية العلامة اللغوية.

ب. ثنائية العلاقات الأفقية(syntagum) والرأسية(associative).

ثانيا: ثنائية التزامن والتعاقب.

- خلاصة البحث ونتائجه.
- قائمة بمظان البحث.

هذا وقد حاولتُ في هذا البحث جادّا أن أقدم رؤيتي الخاصة إلى منهج سوسير وثنائياته في محاضراته، أملا مني أن أضيف شيئا نافعا إلى الدرس اللساني العربي عموما والعراقي على وجه الخصوص، فما كان فيه من إجادة فمن نِعَم الله تعالى وله الشكر على ما أنعم، وما كان فيه من خطأ أو سهو فمني.

والحمد لله رب العالمين.

.....

فكر سوسير الثنائي:

يشيع في محاضرات سوسير استعمال مصطلح الثنائيات شيوعا لافتا، فهو يسمه بأنه "المبدأ الثنائي للتصنيف"[1]، مما يؤكد وعيه بهذا المصطلح وإن لم يعرِّف به. وعليه عُرِّفت أفكار سوسير بعبارة مختصرة دالة هي: (ثنائيات سوسير)[2]، فالمبدأ الأساسي عنده هو "الرؤية الثنائية المزدوجة للظواهر، فهو من ناحية يعارض النزعة الجزئية الانفصالية التي تدعو إلى عزل الأشياء عن مجالها طبقا لنزعة بعض العلوم التي تعالج الأشياء من وجهة نظر ثابتة [....] ويدعو من ناحية أخرى إلى إدراج هذه الظواهر في سلسلة من المقابلات الثنائية للكشف عن علاقاتها التي تحدد طبيعتها وتكوينها"[3].

لقد رأى سوسير أن اللسان كتلة من المعطيات المتنافرة لا يمكننا من خلالها تحديد موضوع اللسانيات، وأن النظر إلى تلك الكتلة نظرة كلية يذيب اللسانيات في العلوم المجاورة. بهذا يمكننا إيجاد سبب للجوء سوسير إلى تفكيك اللغة إلى أجزائها وتحليلها إلى مجموعة من المظاهر الثنائية، فتلك الثنائيات مستخلصة من المادة الخام وهي لا تظهر إلا من خلال النظر إلى اللغة نظرة جزئية، فهي نتاج لبلورة علمية[4].

ولم يكن هدف سوسير – بحسب فهمنا – هو الوقوف عند تلك النظرة التجزيئية، بل كانت تلك العملية وسيلة لفهم ذلك الكل غير المتجانس ومن ثَمَّ إعادة تركيب ما تم تفكيكه، ارتكازا على جهة نظرٍ توحّد بين جهات النظر المختلفة[5].

بعد كل هذا يمكننا أن نتساءل: ما هي حقيقة التصنيف الثنائي عند سوسير؟ وما هو تصور الدارسين لتلك الثنائيات؟ وهل كان سوسير موفقاً في بناء تفكيره على التصنيف الثنائي؟ بمعنى هل هي ثنائيات فعلا أو ثلاثيات؟ وما هي نقطة البداية عند سوسير؟

تقتضي الإجابة عن تلك الأسئلة أن نُمَهِّد لها بالحديث عن هدف سوسير من محاضراته عموماً، لما لها من أثر كبير في تيسير الإجابة عن الأسئلة السابقة.

<u>علاقة ثنائيات سوسير بهدف الدراسة</u>:

يرتبط الحديث عن ثنائيات سوسير بالهدف الذي رامه من محاضراته ارتباطا وثيقا، فذلك الهدف هو الذي يحدد حقيقة وجود الثنائيات أو بالعكس كما أنه يحدد نقطة البدء الحقيقية التي عالجها سوسير في الثنائيات.

لذا نرى أنه من اللازم علينا في هذا الموضع التطرق إلى أمور ثلاثة هي: رؤية الدراسين إلى الهدف الذي أوجد سوسير من أجله محاضراته، ثم عكس رؤية الباحث الخاصة إلى ذلك الهدف وهي رؤية مستوحاة من كلام سوسير نفسه، ومن ثَمَّ الموازنة بين ذلك الهدف وثنائيات سوسير في محاضراته.

- **رؤية الدارسين:**

لقد اختلف الدارسون في وصف غرض سوسير من محاضراته، وهم من الكثرة بمكان بحيث يصعب حصرهم،إلا أننا نستطيع إجمال ما ذهبوا إليه بآراء:

الرأي الأول:

يرى جونثان كلر أن هدف سوسير في دراسة اللغة هو "أن يتساءل عن الشيء الذي يحاول وصفه، إلى أي شيء على وجه الخصوص ينظر المرء، أو عن أي شيء يبحث؟ وفي إيجاز ما اللغة؟ "[6].

وانتهى إلى أن اللغة عند سوسير هي نظام من العلامات، وعلى ذلك فـ(العلامة) هي المبدأ الأساس أو المبدأ الأول في نظرية اللغة عند سوسير[7].

اعتمد جونثان كلر – بناء على ذلك التصور– تصنيف ثنائيات سوسير بالنظر إلى العلامة بوصفها مبدأ أساسياً، فتحدث في بداية الأمر عن العلامة اللغوية من حيث طبيعتها الاعتباطية؛ وتناول فيه العلاقة بين ركني العلامة اللغوية (الدل والمدلول) وخصائص اعتباطية العلاقة بينهما[8]، وطبيعة العناصر اللسانية؛ وتحدث فيه عن قيمة العلامة بين العلامات الأخرى في النظام العلامي القائمة على التعالق والتخالف[9]، وأن قيمة العلامة تدور في محورين هما أن قيم العناصر تتمثل في موقعها من النظام من جهة، ومن جهة

أخرى أن قيمة العلامة اللغوية تقوم على وظيفتها في داخل النظام ولا أهمية لخصائصها المادية. مشبها ذلك بلعبة الشطرنج[10]. وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن ثنائية اللغة والكلام عند سوسير[11]، فالبحث في اللغة المعينة "يتضمن قائمة بالفوارق التي تخلق العلامات، وبقواعد التأليف، في حين أن دراسة الكلام قد تفضي إلى شرح للاستخدام اللغوي "[12]. ثم تحدث عن ثنائية التزامن والتعاقب عند سوسير[13]، ووصف هذه الثنائية بأنها "نتيجة مهمة للطبيعة الاعتباطية للعلامة"[14] وقد بنى حديثه كله عن علاقة الطبيعة الاعتباطية بتلك الثنائية من وجهة نظر سوسير[15]، ثم انتقل بعد ذلك إلى تحليل اللغة المعينة، تحدث فيه؛ عن العلاقات الأفقية والرأسية عند سوسير[16]، وهي أثر من آثار الطبيعة الاعتباطية للعلامة بوصف العلامة صيغة وليست مادة [17].

وبهذا ينهي جونثان كلر حديثه عن ثنائيات سوسير. والملاحظ على كلامه ما يأتي:

1. إنه جعل محور ثنائيات سوسير العلامة اللغوية.
2. إنه عرض الثنائيات من دون تبيين تراتبها وتعالقها وتسلسلها.
3. إنه أهمل الحديث عن اللسانيات الخارجية عند سوسير.

الرأي الثاني:

ترى الباحثة الألمانية بريجيته بارتشت أن هدف سوسير من كتابه أمران؛ تحديد موضوع الدراسة، واختيار منهج ملائم لتلك الدراسة[18].

لقد ابتدأت بريجيته بارشت حديثها عن ثنائيات سوسير بموقف سوسير مما يقع ضمن الدراسة اللسانية مما لا يقع في تلك الدراسة، وقد عزت إلى (الكلام) الأمور التي لا تنتمي إلى اللسانيات[19]. وقامت بعد ذلك بتقسيم ثنائيات سوسير على ثلاثة أقسام: ثنائية اللغة والكلام؛ وبها حدد سوسير موضوع العلم[20]. وثنائية التزامن والتعاقب؛ وبها حدد سوسير منهج دراسة موضوع العلم[21]. وثنائية النطاق الداخلي والنطاق الخارجي؛ وبها ميز سوسير ما يدخل في الدراسة اللسانية، وما يقع خارجها[22].

ويمكن أن نعكس وجهة نظرنا بإزاء رؤية بريجيته بارتشت بنقاط:

1. إنها قصرت هدف سوسير بالموضوع والمنهج، وهما هدفان مبتوران عن واقعهما في المحاضرات. فأهداف سوسير تراتبية تعالقية أيضا، الغرض منها الوصول إلى غاية واحدة.
2. الملاحظ أنها بدأت حديثها بما يدخل في اللسانيات وما لا يدخل فيه عند سوسير، وهو –بحسب ما يراه الباحث– عمل دقيق.

3. أدت بها تلك البداية إلى الحديث عن ثنائية اللغة والكلام بوصفها ثنائية قصد منها سوسير تحديد موضوع العلم، ثم تحدثت عن ثنائية التزامن والتعاقب والغرض منها عند سوسير –كما ترى– هو تحديد المنهج الملائم لدراسة اللغة المعينة.
4. بعد ذلك عادت للحديث عن ثنائية (النطاق الداخلي والنطاق الخارجي) قصدت بالنطاق الداخلي ما يدخل في الدراسة اللسانية، وبالنطاق الخارجي علاقة اللسانية بالعلوم المجاورة، وكأنها عادت إلى ما بدأت الحديث به، بل إنها بهذا العمل شتَّت التصور التراتبي لثنائيات سوسير.
5. إنها جعلت موضوع العلامة اللغوية موضوعا مستقلا عن الثنائيات[23]، وليس كذلك، لأن العلامة اللغوية فكرة منبثقة من تصور سوسير لثنائية (اللغة والكلام).
6. إنها أهملت الحديث عن العلاقات الأفقية والرأسية عند سوسير. وهي ثنائية منبثقة كون اللغة نظاما من العلامات أي هي منبثقة من ثنائية اللغة والكلام أيضا.
7. ومن خلال النقاط السابقة نستنتج أنها لم تستطع لمح تراتب ثنائيات سوسير وتعالقها.

الرأي الثالث:

تصور الدكتور حنون مبارك أن هدف سوسير بالدرجة الرئيسة هو الكشف عن موضوع اللغة فقط، المتمثل باللغة المعينة[24]، ذلك لأن اللغة المعينة هي الوحيدة من بين الثنائيات الأخرى التي يمكن أن تحدد بصورة مستقلة عن طرفها الآخر، أما الثنائيات الأخرى فتتسم أركانها بالتراكب أي يستحيل تعريف كل طرف من أطرافها مستقلا عن الطرف الآخر، فاللغة المعينة بهذه السمة المميزة عنده شيء (مجرد ومؤمثل)[25]. وعليه تصور تقسيم سوسير للثنائيات على أساس اللغة المعينة، كما يأتي: التعريف السيميائي للسان؛ ورأى فيه أن ربط اللغة المعينة عند سوسير بالسيمولوجيا هو الذي أتاح له إمكانية إسناد موقع للسانيات بين العلوم، ولما كانت السيمولوجيا لم تتأسس بعدُ بوصفها علما، كانت اللغة المعينة هي القادرة على تحديد موضوع السيمولوجيا، فالمسألة اللسانية هي مسألة سيمولوجية، فاستحضار سوسير للسيمولوجيا كان الغرض منه هو تحديد موقع اللسانيات ضمن العلوم لا غير، فالسيمولوجيا علم لم يؤسس بعد وهو مجرد مشروع نظري غير متبلور، وقد كشف عمل سوسير هذا عن خاصية مهمة للغة المعينة وهي كونها نظاما من العلامات[26]. بعد ذلك تناول في موضوع اللسانيات بين التوحد والتعدد موضوعين فرعيين: (لسانيات اللغة ولسانيات الكلام)، و(لسانيات داخلية ولسانيات خارجية) وأشار في نهاية الموضوع إلى أن تقسيم اللسانيات على (لسانيات اللغة ولسانيات الكلام) وعلى (لسانيات داخلية ولسانيات خارجية) يكشف عن ثنائية واحدة لا غير هي: لسانيات اللغة وهي لسانيات

داخلية، ولسانيات الكلام وهي لسانيات خارجية[27]. بعد ذلك انتقل إلى الفصل الثالث ووسمه بـ(الدليل اللساني) قصد به العلامة اللغوية، وتناول فيه تعريف العلامة اللغوية وخصائصها[28]، أعقب ذلك بفصل رابع وسمه بـ(اللسانيات السانكرونية واللسانيات الدياكرونية) مؤكدا فيه أن طرفي الثنائية يتعلقان باللغة المعينة وإنْ كان الكلامُ هو المؤثر في التغييرات التاريخية إلا أن تلك التغيرات لا يمكن تشخيصها إلا من خلال اللغة المعينة[29]. نستنتج من هذا أن تلك الثنائية بفرعيها هي من اللسانيات الداخلية لا الخارجية. ثم تناول في الفصل الخامس مفهوم قيمة العلامة اللغوية[30]. وتحدث في الفصل السابع عن العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية[31]، موضحا فيه اعتماد اللغة المعينة على العلاقات بنوعيها السابقين.

ويمكن إيجاز رأي الباحث في كلام الدكتور حنون مبارك بما يأتي:

1. إنه نظر إلى أن هدف سوسير من محاضراته هو اللغة المعينة، وأن السيمولوجيا جاءت لتحدد موقعا منفردا للسانيات بين العلوم.
2. إنه لمح العلاقات التعالقية بين ثنائيات سوسير، فثنائية (لسانيات اللغة ولسانيات الكلام) وثنائية (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية) هي بالضرورة ثنائية واحدة؛ (فلسانيات اللغة هي لسانيات داخلية) و(لسانيات الكلام هي لسانيات خارجية). كما رأى أن ثنائية التزامن والتعاقب هي من ضمن لسانيات اللغة أي من ضمن اللسانيات الداخلية. وأن العلاقات التركيبية والترابطية وسيلة تحليلية للعلاقات المهيمنة على النظام اللغوي.
3. وما يؤخذ على كلام الدكتور أنه أغفل التراتب في الثنائيات، منشغلا بالتعالق الثنائي.

الرأي الرابع:

لم يصرّح ميشال أرِّفيه عن الهدف من تأليف كتاب سوسير، لكنه تحدث حديثا عرَضيا عن الهدف من ثنائيات سوسير ألا وهو توضيح النظام اللغوي[32]، ويتمثل ذلك النظام بـ (السيمولوجيا)، وقد رأى أن تفكير سوسير قائم على التفرّع الثنائي: "لغة وكلام، دال ومدلول، تزامنية وتعاقبية، علاقات تتابعية وعلاقات ترابطية، قيمة ودلالة"[33]، وقد أشار – بحسب تصوره – إلى سمة من سمات الثنائيات السوسيرية وهي (تراكب الثنائيات)، فرأى "أن كل واحدة من تلك الثنائيات التي نميّز بينها تتراكب كل التراكب مع الثنائيات الأخرى كلها على نمط الموضوع نفسه الذي نسعى إلى توضيحه: إنه ذلك النظام (الصارم) الذي هو اللغة من بين أنظمة اللغة"[34]. قصد من التراكب في كلامه السابق ما نقصده بالتعالق، إلا أن مصطلح التعالق هو الأفضل لأن التراكب يدل على أن الثنائيات أجزاء بعضها في بعض، أما التعالق فيشير إلى عدم تداخل الثنائيات بل ارتباط بعضها ببعض.

لقد عرض ميشال أرِّفيه الثنائيات ضمن النظام السيمولوجي: فبدأ بالحديث عن أنظمة العلامات والسيمولوجيا[35]، فالحديث عن (اللسان واللغة والكلام) التي استخلص منها سوسير ثنائية لسانيات اللغة ولسانيات الكلام[36]، ثم انتقل إلى الحديث عن العلامة اللغوية؛ عناصرها واعتباطية الربط بين عناصرها وما إلى ذلك من أمور[37]، ثم تحدث عن أنظمة العلامات ومفهوم القيمة[38]، ثم تحدث عن العلاقات التركيبية والعلاقات الترابطية[39]، وختم حديثه بثنائيتي التزامن والتعاقب[40].

والملاحظ على كلام ميشال أرِّفيه ما يأتي:

1. إنه جعل نظام العلامات هو الهدف الأساس من محاضرات سوسير.
2. إنه أشار إلى تعالق الثنائيات،ووسمها بالتراكب وهو مصطلح غير دقيق.
3. إنه لم يصرح بأن الثنائيات متراتبة إلا أنه رتبها بشيء من التراتب؛ فبدأ بثنائية اللغة والكلام، ثم انتقل إلى العلامة بوصفها العنصر الذي يتكون منه نظام اللغة، وبعدها انتقل إلى نظام العلامة والقيمة بوصفهما المحددين لنظام اللغة، ثم تحدث عن العلاقات الأفقية والرأسية. وانتهى بالحديث عن ثنائيتي التزامن والتعاقب.

   وما يؤخذ عليه في ترتيبه هذا هو أنه ابتدأ بثنائية اللغة والكلام ولم يسوغ وضع ثنائية التزامن والتعاقب في النهاية.
4. إنه أهمل الحديث عن الثنائية الكبرى وهي ثنائية اللسانيات الخارجية واللسانيات الداخلية، وكان من المفترض أن يتحدث عنها أول شيء.

الرأي الخامس:

ويتبنى هذا الرأي الدكتور كمال بشر، الذي رأى أن "أفكار سوسير ومبادئه تدور في عمومها حول هدفين رئيسيين: أولهما: تصحيح بعض الآراء الزائفة التي كانت تشيع في أوساط التقليديين من اللغويين. وثانيهما: محاولة تخليص البحث اللغوي من تبعية للعلوم الأخرى وتخصيص علم مستقل ذي حدود معينة يقوم على النظر في اللغة والكشف عن حقيقتها "[41].

والغرض الثاني كما هو واضح من كلام الدكتور كمال بشر يقسم على قسمين: أحدهما؛ تخصيص علم مستقل للسانيات، والآخر؛ تخليص اللسانيات من تبعيتها للعلوم الأخرى. إن هذه الأهداف الثلاثة كانت هي بالفعل من ضمن أهداف سوسير، ولكن تلك الأهداف مقتطعة من منظومة الأهداف التراتبية في محاضراته.

وذكر الدكتور كمال بشر أن المبادئ التي "ألقى بها دي سوسير إلى العاملين في الحقل اللغوي كثيرة ولكنّا سوف نقصر الحديث على مبدأين أو فكرتين اثنتين "[42]، تلك الفكرتان هما: ثنائيتا التزامن والتعاقب، وثنائية اللغة والكلام فقط. من دون ذكر مسوغ ذلك القصر، علما أن عنوان بحثه قد تضمن الكتاب كله، وطبقا لهذا كان من المفترض عليه أن يحدد عنوان بحثه بهاتين الثنائيتين من محاضرات سوسير وبيان أثرهما في آثار الدارسين. كما أنه بعمله هذا نفى سمتي التراتب والتعالق في ثنائيات سوسير.

الرأي السادس:

يرى الدكتور حيدر سعيد أن هدف سوسير من محاضراته هو "وضع الحدود المنهجية للسانيات، وتضبط تلك الحدود بأمرين: أحدهما ضبط موضوع واضح للعلم، والآخر؛ اقتراح طريقة ينظر بها إلى ذلك الموضوع[43].

ولكي يتوصل سوسير إلى هدفه سعى إلى نقد الجهود اللسانية التي سبقته، والتي رأى أنها قد فشلت في تحديد موضوع العلم[44]. ورأى الدكتور حيدر سعيد أن الوسيلة التي أوصلت سوسير إلى بناء الحدود المنهجية المقترحة هي قيامه بأكثر من تمييز: تحديد موضوع العلم، من خلال تحديد خصائص اللغة، من خلال ثنائية اللغة والكلام[45]. ومن ذلك أيضا تحديد المنهج من خلال ثنائية التزامن والتعاقب[46]، وأيضا تحديد مكانة اللسانيات بين العلوم الأخرى[47]. ثم تحدث في موضوع مستقل عن مفهوم القيمة ضمَّنه قضايا كثيرة من ضمنها تطرقه إلى العلاقات الأفقية والرأسية[48].

إن قراءة الدكتور حيدر سعيد لهدف سوسير من دراسة اللغة محاولة دقيقة بنسبة كبيرة، بنى عليها تصوره لثنائيات سوسير التي كوّن من خلالها منهجه في دراسة اللغة. وقد وقف الباحث عند تلك الثنائيات الثلاث من دون التطرق إلى ثنائية الدال والمدلول. وحشر ثنائية العلاقات الأفقية والرأسية في مفهوم القيمة. وهذا، وإن شتّت تراتبية الثنائيات، إلا أن ما يسوغه هو بحثه عن الثنائيات االتي أوصلت سوسير إلى صوغ منهجه في دراسة اللغة.

هذه هي أهم الآراء التي يمكن التطرق إليها في هذا البحث وهي آراء انتقائية حاولنا أن نعكس من خلالها مجمل الآراء التي ذهب إليها دارسون كثر لا يمكن حصر دراساتهم تلك هاهنا.

وثمة دراسات أخرى للدارسين تطرقوا فيها إلى ثنائيات سوسير من دون ربطها بهدف سوسير من محاضراته، وقد صَوَّرت تلك الدراسات ثنائيات سوسير بشكل انتقائي ومختلفة

بعضها عن بعضها الآخر بزيادة في الثنائيات أو نقيصة، من دون وصفها بالتعالق ولا بالتراتب. من تلك الدراسات دراسة الدكتور إبراهيم خليل الذي رأى أن فكر سوسير يُوصَف بإيجاز بعبارة (ثنائيات سوسير) ثم ذكر أنه سيتناول بعض تلك الثنائيات للوقوف على آرائه وأثرها في اللسانيات المعاصرة[49]، وذكر في الثنائيات: ثنائية اللغة واللسان، وثنائية اللغة والكلام، وثنائية الداخلي والخارجي، وثنائيات العلاقات التركيبية (الحضور والغياب)، وثنائية الدال والمدلول[50]. ومن ذلك ما ذهب إليه الدكتور صلاح الدين حسنين من أن منهج سوسير يقوم على أسس أربعة هي: (السنكرونية في مقابل الدياكرونية، واللغة والكلام، والدال والمدلول، والرأسية والأفقية)[51]. ومن تلك الدراسات دراسة مليكا إفيتش التي عرضت ثنائيات سوسير بصورة عفوية غير مسوغة[52]، وما فعله الدكتور خليل الحماش في بحث له[53]، وحديث الدكتور أحمد محمد قدور في كتابه مباديء اللسانيات[54]، والدكتورة نور الهدى لوشن في كتابها مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي[55]. وغير هؤلاء كثير يضيق بنا هاهنا حصرهم.

- **تصورنا لهدف سوسير من محاضراته:**

يصرح سوسير في محاضراته بتساؤل عن الهدف الطبيعي للسانيات، ويبدأ الإجابة عن تساؤله هذا بأن هذا السؤال صعب للغاية[56].

ومن خلال تتبعنا لمحاضرات سوسير نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور حيدر سعيد من أن هدف سوسير هو وضع الحدود المنهجية للسانيات[57]، وهذا التحديد يقتضي؛

1. تصحيح بعض الأفكار الزائفة المنسوبة إلى اللسانيات، والتي شاعت في أذهان الدارسين من قبل.
2. ثم التعريف باللسانيات قبل التطرق إلى حدودها المنهجية، وما هي العلوم التي تدخل فيها.
3. بعدها بيان صلة اللسانيات بالعلوم الأخرى وامتيازها عنها.

تلك الثلاثية كانت مقدمة ضرورية للتحديد المنهجي للسانيات.

وهو ما فعله سوسير فعلا في فصلي المحاضرات الأولين، قبل الخوض في تحديد الحدود المنهجية للسانيات. فبدأ في الفصل الأول بإلقاء نظرة سريعة إلى تاريخ اللسانيات. تلاه الفصل الثاني الذي تحدث فيه عن موضوع اللسانيات وعلاقتها بالعلوم الأخرى. ثم جاء الفصل الثالث وهو هدف اللسانيات.

أما في الفصل الأول فقد بيّن سوسير فيه عدم صلاحية المعيارية التقليدية لدراسة اللغة بل هي ليست من اللسانيات وقد توصل إلى ذلك من خلال إيجاز تاريخ اللسانيات (بثلاث) مراحل. وحدد في الفصل الثاني مجالات اللسانيات وهي:

1. الدراسة المقارنة.
2. الدراسة التاريخية.
3. أن تحدِّد اللسانيات ذاتها بذاتها[58].

والملاحظ على موضوع اللسانيات أنه ثلاثي الأبعاد أيضا.

وفي الفصل الثاني نفسه بيّن سوسير علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى وامتيازها عن تلك العلوم.

وها هنا تتكشف ثلاثية جديدة:

1. ما لا يدخل في الدراسة العلمية، وهي الدراسة المعيارية التقليدية. وقد أشار هنا إلى بعض شروط الدراسة العلمية، فالعلمية عند سوسير هي "الملاحظة الصحيحة للحقائق"[59]، كما أشار إلى الشروط الأخرى في مواضع متفرقة من محاضراته ضمنا منها: أن الدراسة العلمية "تقلل من الحدس"[60]، وأنها تهتم بـ"تسجيل الحقائق "[61]، وتتسم بأنها "نظرة عامة شاملة"[62]. كما أنه أضاف شرطا آخر إلى علمية الدراسة اللغوية وهو الفصل بين ما هو ملفوظ وما هو مكتوب[63].
2. اللسانيات، ثلاثية الأبعاد، كما مر ذكره.
3. العلوم المؤثرة في اللسانيات.

الملاحظ عندنا أن التفكير الطاغي لمقدمات سوسير هو تفكير (ثلاثي) لا ثنائي. وهو ما لم يشر إليه أحد.

وهنا يدلنا سوسير على نقطة البدء وهي تحديد ما يدخل في اللسانيات مما لا يدخل فيها بغية الوصول إلى تحديد منهجي للسانيات. وهو ما أشار إليه في فصل من فصول محاضراته بـ(ثنائية اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية). والتي يمكن أن أُسميَها بـ(الثنائية الكبرى) التي تنطوي على ثنائيات يمكن أن أُسميَها بـ(الثنائيات الصغرى).

فالغاية من الثنائية الكبرى هو تحديد الأطر المنهجية للسانيات أي ما يدخل في اللسانيات مما لا يدخل فيها.

<u>الثنائية الكبرى</u>: (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية):

يأتي تصور سوسير إلى بنية اللغة من منظور ثنائي يراعي فيه بنية اللغة الاجتماعية مقترنة بالزمن، ويهمل إهمالا واضحا عنصر المكان. فما يؤثر في بنية اللغة عاملان: البنية الاجتماعية والزمن[64]، وهما متلازمان لا يمكن الاقتصار على أحدهما في فهم بنية اللغة

الداخلية من دون الآخر[65]. أما المكان فعلى الرغم من ارتباطه الوثيق بمقومات وجود اللغة إلا أنه لا يؤثر في النظام الداخلي للغة[66]، فهو مكيف للنظام فقط، لذلك عده ثانويا[67]، وهو بهذا من ضمن علم اللغة الخارجي[68].

والملاحظ على سوسير في ثنائيته الكبرى أنه يضع في اللسانيات الخارجية عدة أشياء هي: (علم السلالات البشرية، وتاريخ مجتمع اللغة، أنظمة أخرى ترتبط بمؤسسات كالكنيسة والمدرسة وغيرهما، علم اللغة الجغرافي)[69].

وقد عد سوسير دراسة تلك الظواهر من الأمور المفيدة جدا، إلا أن القول بأن فهم النظام لا يتم إلا بدراستها أمر مرفوض عنده، فهي لا تمت بصلة إلى النظام اللغوي[70].

والملاحظ على كلام سوسير أمور، هي:

1. يمكننا أن نفهم من كلام سوسير أنه لم يعد (الكلام) من اللسانيات الداخلية. بمعنى آخر ضمّت اللسانيات الداخلية (اللغة المعينة، والتزامنية والتعاقبية) فقط. لأنه في النهاية قرر أن الكلام لا يمكن ضبطه وهو لا يمثل بنية اللغة الجماعية، على الرغم من أهمية الكلام في تحديد هوية اللغة المعينة.
2. تنتج النظرة العجلى إلى كلام سوسير أنه وقع في تناقض بإزاء القواعد، فهو يصفها مرة بأنها من الأمور المرفوضة في دراسة اللسانيات[71]. ويصفها مرة أخرى بأنها من الأمور المؤثرة في دراسة اللغة وإن لم تنتمِ إليها[72]. والحقيقة خلاف ذلك، فسوسير يميز بين أمرين: أحدهما؛ القواعد التقليدية المرفوضة التي جعلها بعيدة عن الدراسة العلمية للغة، يقول في ذلك: "لقد اهتم الدارسون في بادئ الأمر بفرع من فروع المعرفة سمي بـ(القواعد)، إن هذه الدراسة التي بدأها الأغريق وأخذها عنهم الفرنسيون اعتمد على علم المنطق. وهي تفتقر إلى النظرة العلمية ولا ترتبط باللغة نفسها، وليس لها هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة، وغير الصحيحة، فهي دراسة معيارية، تبتعد كثيرا عن الملاحظة الصحيحة للحقائق، ومجال حدودها ضيق"[73]. والأمر الآخر هو؛ القواعد المبنية على أسس علمية وهي من الأمور المؤثرة في دراسة اللغة وإن لم تكن من تلك الدراسة، يقول سوسير: "إذا درسنا اللسان من وجهات نظر عديدة مختلفة في آن واحد، ظهر لنا أن هدف علم اللغة وكأنه شيء مرتبك، غير متجانس، يتكون من أشياء، غير مرتبطة بعضها ببعض، إن كلا من الأسلوبين المشار إليهما آنفا يفتح الباب لعدد من العلوم كعلم النفس وعلم المجتمعات البشرية والنحو المعياري وفقه اللغة وغيرها، وكل هذه العلوم تتميز عن علم اللغة "[74].

من هنا يتبين لنا أن سوسير قد عد النحو المعياري القائم على أسس علمية صحيحة من اللسانيات الخارجية، وتتبني صحة القواعدية من خلال اعتمادها على الوصف العلمي للحالة اللغوية المدروسة، أي يأتي وصف الحالة أولا ومن ثَمَّ يأتي تقعيد القواعد[75].

ولعل النظرة السطحية للكلام السابق تنتهي إلى القول بأن أن ثنائية سوسير الكبرى (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية) قاصرةٌ، فهي ثلاثية الأركان: (اللسانيات الداخلية،واللسانيات الخارجية،والقواعد التقليدية القائمة على أسس غير علمية متمثلة باعتمادها على علم المنطق).

وهذا الإشكال المطروح له ما يسوغه، إلا أننا نستطيع ردّه بأمور؛ الأول: أن سوسير معني بالدراسة العلمية، وأن القواعد التقليدية اليونانية لم تبنَ على أسس علمية لذلك فهي خارجة من تصوره، وجاء ذكرها في المحاضرات بصورة عرَضية للإشارة إلى أنها ليست من العلم بشيء. فما هو مهم عند سوسير هو الدراسات القائمة على أسس علمية. والثاني أن تلك الدراسة لا تمت بصلة إلى اللغة موضوع العلم. أما الأمر الأخير الذي يمكننا أن نرد به على الإشكال السابق فهو أن الثنائيات السوسيرية هي ثنائيات تعالقية يتعلق بعضها بالآخر، فاللسانيات الداخلية مرتبطة باللغة المعينة والدراسة التزامنية والتعاقبية عند سوسير، أما اللسانيات الخارجية فترتبط بالكلام في كثير من موضوعاتها. فضلا عن ذلك فإن اللسانيات الداخلية مرتبطة باللسانيات الخارجية من حيث انتمائهما إلى العلم، وأن اللسانيات الداخلية مرتبطة باللسانيات الخارجية أيضا من جهة الإفادة منها في الكشف عن كثير من قضاياها. فإذا قلنا بوجود ركن ثالث مع اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية فبأي ركن يرتبط ذلك الركن؟ لا شك في أنه سيبقى غريبا بين مكونين ثنائيين شديدي الترابط.

3. رأى سوسير أن الذي يؤثر في بنية اللغة موضوع (اللسانيات الداخلية) أمران (العامل الاجتماعي) و(العامل الزماني) وأقصى العامل المكاني من ذلك.

إن المسوغات التي ذكرها سوسير لإقصاء (عامل المكان) عن العوامل المكونة للنظام اللغوي غير مقبولة، لأننا بهذا الإقصاء نقوم بتحييد عامل مهم من عوامل وجود اللغة، فلا وجود للغة من دون أركان ثلاثة هي (المجتمع والزمن والمكان). كما أن ذلك الإقصاء يؤدي إلى تمييع المادة المدروسة وعدم تأطيرها بحدود، شأنها في ذلك شأن الحالة اللغوية الزمانية في دراسة لغة من اللغات، تلك الحالة التي وضع لها سوسير ثلاثة ضوابط لتحديدها هي:

1. إن التغييرات التي تحصل في الحالة اللغوية ضئيلة جدا.

2. ينبغي تحييد تلك التغييرات الضئيلة التي لا أهمية لها وإهمالها عند تحديد الحالة اللغوية، شأننا في ذلك شأن عالم الرياضيات الذي يهمل الكميات الصغيرة (اللوغارتيمات) في بعض الحسابات.
3. تكون الحالة اللغوية – بناء على الفكرة السابقة – ليست إلا فكرة تقريبية[76].

كذلك الحال في عامل المكان. فعلى الرغم من عدم إمكانية تأطير اللغة أو خواصها بحدود جغرافية دقيقة، وهو أمر غير ممكن، إلا أن دراسة اللغة تفرض علينا تحديدا جغرافيا (مفترضا) يمكننا من حصر المجتمع اللغوي المدروس لاستقصاء خصائص لغته البنوية، وهو ما غفل عنه سوسير. لذلك كان من المفترض من سوسير أن يدخل عامل المكان في اللسانيات الداخلية لا العكس.

هذا في ما يتعلق بما يؤثر ببنية الظاهرة اللغوية من عوامل هي (عامل المجتمع وعامل الزمان وعامل المكان)، وسيأتي الحديث عن المنهج الجغرافي بوصفه منهجا من المناهج التي تدخل في اللسانيات الداخلية لا الخارجية.

<u>الثنائيات الصغرى:</u>

أولا: ثنائية اللغة والكلام:

تحدث سوسير في محاضراته عن (اللغة والكلام) من جانبين: أحدهما؛ كونهما جزأين من بنية اللغة. وتحدث في الموضع الآخر عن العلمين المتعلقين باللغة والكلام وهما (لسانيات اللغة) و(لسانيات الكلام).

أما في الجانب الأول فقد تحدث سوسير عن ثلاثة أشياء: هي (اللسان، اللغة المعينة، والكلام). فميز فيه بين (اللغة واللسان) و(اللغة والكلام)، وخلص منه إلى أن اللسان كتلة غير متجانسة تضم (اللغة والكلام)[77] وهي غير محددة عنده ولا يمكن ملاحظتها بالنظر إليها من ركنيها (اللغة والكلام) معا[78].

أما الكلام فهو ظاهرة فردية ثانوية غير قابلة للوصف والملاحظة. أما اللغة المعينة فهي جماعية جوهرية قابلة للوصف والملاحظة[79].

من هنا يتبين لنا أن سوسير تحدث في هذا الموضع عن ثلاثة أشياء لا شيئين، تلك الأشياء هي: (اللسان واللغة والكلام). وقد صنف حديثه عن تلك الثلاثية بثنائيتين هما: (اللغة واللسان)، و(اللغة والكلام).

لقد اشار كثير من الدارسين إلى أن سوسير قد ميز في ثنائية اللغة والكلام بين ثلاثة أشياء هي (اللسان واللغة والكلام)[80] وبيَّن هؤلاء أن اللغة لا اللسان ولا الكلام هو موضوع علم اللغة، ولم يقدموا مسوغا لجمع سوسير بين قوله بـ(ثنائية اللغة والكلام) و(التمييز بين ثلاثة أشياء).

ولعل سبب ذلك هو محاضرات سوسير نفسها فعلى الرغم من تضمنها الحديث عن ثلاثة أشياء، انتُقي منها شيء واحد هو (اللغة)، إلا أننا نجد في موطن من مواطن تلك المحاضرات الاقتصار على شيئين هما (اللغة والكلام)، إذ رأى سوسير "أنّ علينا أن نختار بين اللغة والكلام "[81]، وقد وسم هذا المبدأ بـ"المبدأ الثنائي للتصنيف"[82]، كما مرت الإشارة إليه.

يأتي التساؤل هنا؛ كيف تكون ثنائية وهي تتناول ثلاثة أشياء؟ أليس من الأجدر به أن يسميها ثلاثية؟

يمكننا تقديم مسوغين لقول سوسير بالثنائية، أحدهما: أنه لا حظ أن اللسان لا يكمن دراسته بوصفه كلًّا، لأنه بذلك سيدخل في الدراسة اللسانية العلوم الأخرى، يقول: "إذا درسنا اللسان من وجهات نظر عديدة مختلفة في آن واحد، ظهر لنا أن هدف علم اللغة وكأنه شيء مرتبك، غير متجانس، يتكون من أشياء، غير مرتبطة بعضها ببعض، إن كلا من الأسلوبين المشار إليهما آنفا يفتح الباب لعدد من العلوم كعلم النفس وعلم المجتمعات البشرية والنحو المعياري وفقه اللغة وغيرها، وكل هذه العلوم تتميز عن علم اللغة "[83]. ينبغي عليه إذن أن يحلل مادة اللسان التي رآها على قسمين؛ اللغة الجماعية والكلام الفردي، ورأى أن كل ما لا يمكن ملاحظته ينتمي إلى الكلام وتعزى اللسانياتُ الخارجية إلى الكلام. والمسوغ الآخر هو: أننا إذا استحضرنا فكرة تعالق الثنائيات، لم يبق من شك في أن القول بثنائية اللغة والكلام أمر دقيق في تصور سوسير، فاللغة متعلقة باللسانيات الداخلية بوصفها موضوع العلم، وأن العلامة ومكوناتها والعلاقات الأفقية والرأسية أمور متعلقة باللغة، فاللغة رابطة ومرتبطة، أو قل متعلِّقه ومتعلَّق بها، وكذا الكلام يتعلق باللغة ولا يمكن التخلي عنه في وصف اللغة. كما أنه يتعلق باللسانيات الخارجية أو أغلب موضوعاتها.

أما إذا قلنا: إن اللسان ركن ثالث، فبمَ يمكن أن يتعلق؟ وأي العلوم يمكن أن تدرسه بوصفه كُلّا؟

وبعد أن كشف سوسير عن مكونات اللسان البشري من خلال الموازنة الثنائية المزدوجة، ووصف كل ركن من أركان تلك الأركان، خلص بعد ذلك إلى الحديث عن أمرين؛ (لسانيات

الكلام) و(لسانيات اللغة). ورأى أن دراسة اللسان "تتكون من جانبين: الجانب الأساسي وهو الذي هدفه اللغة، وهو اجتماعي محض مستقل عن الفرد، وهذا جانب سايكولوجي في جميع صفاته. والجانب الفرعي (الثانوي) وهدفه الجزء الفردي من اللسان، أي الكلام بما في ذلك العملية الصوتية. والجانب الفرعي هذا سايكوفيزياوي "[84]. أما لسانيات الكلام فهي لسانيات عامة أو خارجية، وأما لسانيات اللغة فهي لسانيات داخلية أو خاصة. وأشار في هذا الموضع إلى أن الكلام لا يمكن استبعاده من دراسة اللغة بل هو وسيلة مهمة للكشف عن اللغة المعينة فهو ليس منها لكن لا يمكن الاستغناء عنه وأنه إذا تم التطرق إلى أشياء تتعلق بلسانيات الكلام فإنه من أجل توضيح مسألة تتعلق بلسانيات اللغة[85].

والملاحظ على كلام سوسير أن غرضه من ثنائية (اللغة والكلام) هو غرض إقصائي لتحديد موضوع اللسانيات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحديد اللسانيات بالحديث عن ثنائية لسانيات اللغة ولسانيات الكلام، وهي ثنائية غرضه منها إقصائي أيضا، وذلك بتمييز ما يدخل في اللسانيات مما يقع في خارجها.

لقد أدى حديث سوسير عن (اللسان واللغة والكلام) واختيار موضوع اللسانيات وتحديده باللغة، أدى ذلك إلى الانتقال إلى مكون اللغة المعينة بوصفها نظاما من العلامات[86]. أي أدى به هذا الأمر إلى الحديث عن أمرين: الأمر الأول علاماتية اللغة موضوع البحث من خلال البحث عن ثنائية العلامة اللغوية المنبثقة من رؤيته للغة، والأمر الآخر؛ نظامية تلك العلامات من خلال البحث عن العلاقات الرابطة للعلامة اللغوية داخل النظام متمثلة بثنائية العلاقات الأفقية والرأسية.

أ. ثنائية العلامة اللغوية:

يصف سوسير العلامة اللغوية بأنها (وحدة لغوية)[87]. ونراه مترددا في وصف حقيقتها[88]، فهو مرة يميزها عن جزأيها (الدال والمدلول)[89]، ويصفها بأنها "كيان ثنائي، كيان يتألف من الربط بين عنصرين "[90]، ويقترح بناء على ذلك استعمال مصطلح (sign) (العلامة) للدلالة على الفكرة كاملة، واستعمل مصطلح (signified) (المدلول)، ومصطلح (signifier) (الدال)، وذكر أن الدال والمدلول يحمل كل واحد منهما دلالة مختلفة عن الآخر، كما أنهما يوحيان باختلافهما عن الكل الذي هما جزء منه[91].

إلا أنه يجعل العلامة اللغوية مرادفة للدال في مواضع أخرى من محاضراته، فيستعمل مصطلح (symbol) للدلالة على العلامة، أو للدلالة على(الدال)[92].

والملاحظ على محاضرات أن الغالب فيها استعمال سوسير العلامة اللغوية بوصفها كلًّا مختلفا عن جزأيه الدال والمدلول، فالعلامة اللغوية "تربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء والتسمية "[93].

وعلى الرغم من تصريح سوسير بأن العلامة اللغوية كل يتكون من جزأين هما الدال والمدلول، وهي نظرة منبثقة من النظرة الداخلية المحضة، إلا أن ذلك لا يمنعه من الاعتراف بالوظيفة المرجعية[94]، وذلك واضح فيما يأتي:

1. عرّف سوسير الدلالة بأنها "ليست سوى الجانب المقابل للصورة الصوتية والفكرة حين ينظر إلى الكلمة مستقلة قائمة بذاتها "[95]، فالدلالة بهذا المفهوم إحالة اللفظ إلى الشيء الذي يسميه[96]، ومع رفض سوسير الفكرة القائلة بأن اللغة هي مجرد إحالة اللفظ إلى الذي تسميه[97]، وأن العلامة اللغوية هي كائن مزدوج يربط بين الصورة الصوتية والفكرة لا الشيء ونفسه، كما مر، إلا أنه أشار إلى أن إحالة اللفظ إلى مسماه يمكن أن تقرّبنا من الحقيقة "إذا وضح لنا أن الوحدة اللغوية هي كيان ثنائي، كيان يتألف من الربط بين عنصرين"[98].
2. والأمر الآخر هو تمييزه بين القيمة والدلالة بجعله القيمة جزءاً من الدلالة، يقول سوسير: "إن القيمة، من وجهة نظر فكرية، ليست سوى عنصر واحد من الدلالة، ومن الصعب أن نزعم أن الدلالة تعتمد على القيمة ومع ذلك تتميز عنها "[99] ، فالقيم تستمد وجودها من النظام[100].
3. استدل سوسير على أن القيمة والدلالة شيئان مختلفان "بضرب بعض الأمثلة. إن اللفظة الفرنسية الحديثة mouton (غنم)، يمكن أن تكون لها نفس الدلالة التي للكلمة الإنكليزية sheep ولكن لا يمكن أن تكون لها نفس القيمة، لأسباب كثيرة، أهمها أن الإنكليزية تستخدم muton وليس sheep عند الكلام عن قطعة لحم جاهزة على مائدة الطعام. فالفرق في القيمة بين sheep و mouton يرجع إلى أن sheep في الإنكليزية لها لفظة أخرى تستعمل معها وهي mutton في حين ليس للكلمة الفرنسية كلمة أخرى "[101].

لقد كان كلام سوسير السابق عن المرجع وعلاقته بالقيمة ولا سيما في النقطة الثالثة سببا لتوجيه انتقادات لاذعة إليه. فقد رأى إدورد بيشون بأن خطأ سوسير في تمثيله وموازنته

بين الكلمة الفرنسية mouton والكلمة الإنكليزية sheep "واضح كل الوضوح. ويتمثل في أنه لا يلحظ أنه يدرج في سياق برهانه عناصر ليست في القول فهو يعرّف باديء ذي بدء المدلول بوصفه فكرة عامة للعجل، ثم يتصرف بعد ذلك وكأن ذلك المدلول كان الشيء المسمى عجلا أو على الأقل الصورة الحسية لعجل ما... والحالة فيها شيئان مختلفان "[102]. وأوضح بنفنيست في ما بعد "أن الاستدلال خاطئ بسبب اللجوء اللاواعي والاختلاسي إلى مصطلح ثالث لم يُفهم حق الفهم في تعريفه الأولي. هذا المصطلح الثالث هو الشيء نفسه، الواقع "[103] وأن سوسير بتمثيله "يرجع رغما عنه إلى حقيقة أن هذين المصطلحين ينطبقان على الواقع نفسه. إذاً هذا هو الشيء الذي استبعد بسرعة بادئ الأمر من تعريف العلامة، ثم أدرج في ذلك التعريف عبر التفات وجعل التناقض يستقر فيه باستمرار "[104]. ورأى ميشال أرِّفيه أن نقد بيشون وبنفنيست لا يمكن إنكاره وأنه "لمن البديهي أن سوسير انزلق من المدلول إلى المرجع، وهو بسبب هذا عاد إلى الوقوع، ربما دون أن يشعر في المفهوم الذي استبعده قبليّا من اللغة بوصفها ثبتا اصطلاحيا "[105].

يتبين لنا بعد هذا، أن سوسير، وإن قرر بوجود جزأين للعلامة اللغوية، لم يفلت من الوقوع بالوظيفة المرجعية في أية حال من الأحوال، وبهذا يكون سوسير قد حلل العلامة إلى ركنين (دال ومدلول) وتحدث مرغما عن ثلاثية (دال ومدلول ومرجع). وفكرة تعالق الثنائيات التي نتبناها خير دليل على ما نذهب إليه، فالمرجع له تعلق وثيق بالمدلول فمن دون المرجع لا يتحدد المدلول، كما أن للمرجع أثرا كبيرا في تفسير كثير من قضايا النظام العلامي، وقد أوضح سوسير ذلك من دون أن يشعر من خلال سعيه إلى القول بأن القيمة مختلفة عن الدلالة ليس في الكلمات فقط بل في العناصر الأخرى في اللغة "كالكيانات النحوية مثلا. فقيمة صيغة الجمع في الفرنسية لا تطابق قيمة الجمع في السانسكريتية، من أن دلالة الجمع في اللغتين واحدة عادة. ففي السنساكريتية ثلاث صيغ تدل على العدد (المفرد والمثنى والجمع) بدلا من الصيغتين في الفرنسية (المفرد والجمع). إذا من الخطأ أن نسب قيمة واحدة إلى الجمع في السانسكريتية والفرنسية لأن قيمة الجمع تعتمد على العوامل الخارجية والمحيطة بهذه الصيغة"[106]، ونستطيع أن نستشهد بمثال أوضح من ذلك مأخوذ من النظام النحوي العربي، فالملاحظ في العربية جواز الإخبار بظرف المكان عن المبتدأ الجثة والمعنى نحن نقول: زيد عندك، ونقول: القتال عندك. أما ظرف الزمان فلا يخبر به إلا عن المبتدأ المعنى منصوبا أو مجرورا، نقول: القتال يوم الجمعة أو في يوم الجمعة، ولا يجوز الإخبار به عن المبتدأ الجثة، نحو: زيد اليوم، إلا إذا أفاد، وذهب بعض النحويين إلى المنع مطلقا[107]، ويرى النحاة أن المراد من المبتدأ الجثة "الجسم على أي وضع كان "[108]،

وأن المراد بالمبتدأ المعنى هو المبتدأ غير الجثة ويسميه بعض النحاة بـ(الحدث) ويقصدون به المصدر[109].

إن الكلام السابق يوضح لنا بصورة لا لبس فيها أثر المرجع في بناء النظام النحوي فهو ليس متعلِّق فقط، وليس مفسِّرا فقط، بل إنه يتدخل في صوغ بعض القوالب النحوية في اللغة.

ولو صرفنا النظر عن المرجع بوصفه عنصرا خارجيا، وأن سوسير قد غض النظر عنه، إلى تسليط الضوء إلى أمر آخر يتعلق بنظام العلامات اللغوية عند سوسير لأمكننا أن نلمح مصطلحا جديدا يمكن أن نعده طرفا ثالثا من أركان العلامة اللغوية، ذلك المصطلح هو (القيمة).

فقد رأى سوسير بحسب مفهوم العلامة المتميز عن الدال والمدلول أن "الدور المميز للغة بالنسبة للفكر ليس وسيلة مادية للتعبير عن الأفكار بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر والصوت [...] فميدان علم اللغة إذن منطقة حدود تربط فيها عناصر الصوت والفكر وينتج عن ارتباطهما (شكل وليس مادة) "[110].

والواضح من كلام سوسير عن القيمة أنها ذات بعدين: أحدهما؛ ربط الدال بالمدلول، وتنتج عن ذلك الربط العلامة اللغوية. والآخر؛ قيمة العلامة اللغوية بين العلامات الأخرى في النظام اللغوي فالقيم تستمد وجودها من النظام[111]، وتحدد القيمة للعلامة اللغوية سلبا عن طريق علاقتها بغيرها من العلامات اللغوية في النظام[112]، ولا يوجد في اللغة عند سوسير سوى الفروق[113]. فالنظام اللغوي عند سوسير، هو: "سلسلة من الفروق الصوتية ترتبط سلسلة من الفروق في الأفكار ومن الربط بين عدد من الإشارات الصوتية السمعية وعدد مشابه من قطع مستمدة من كتلة الفكر يؤدي إلى نظام من القيم، وهذا النظام يربط بين العناصر الصوتية والسايكولوجية في كل إشارة "[114].

يمكننا القول، بالنظر إلى العلاقات العلامية، وفي حال صرفنا النظر عن المرجع: إن العلامة اللغوية عند سوسير ثلاثية الأبعاد: (دال) و(مدلول) و(قيمة). تلك القيمة هي التي تمنح العلامة اللغوية خاصيتها بين العلامات الأخرى.

ب. ثنائية العلاقات الأفقية (syntagum) والرأسية (associative):

وتعد هذه الثنائية نتيجة أخرى لتصور سوسير للغة بأنها (نظام من العلامات)، وتتعلق بنظامية العلامة. فقد رأى سوسير أن اعتماد كل شيء في الحالة اللغوية على

العلاقات[115]، ورأى أن هذه العلاقات جزء من اللغة لا الكلام[116]، ووصف تلك العلاقات بالثنائية[117]، وهي إما علاقات أفقية تتعلق بخطية العلامات اللغوية تتكون داخل الحديث وهي علاقات حاضرة، فالوحدة اللغوية لا قيمة لها خارج الكل، فقيمتها تحدد في السلسلة المنطوقة من الوحدات، كما أنه لا قيمة للكل إلا من خلال أجزائه، لذلك لا تقل قيمة العلاقات الأفقية بين الجزء والكل عن العلاقة بين الأجزاء وهو ما سماه سوسير بـ(الترابط الأفقي)[118]. والنوع الآخر من العلاقات هو العلاقات الرأسية، التي تتعلق بما هو خارج عن الحديث، ووصفها بأنها علاقات غيابية تعتمد على الذاكرة[119]، تلك العلاقات هي التي سميت فيما بعد بالعلاقات الاستبدالية paradigmatic [120].

فمن خلال الوقوف على "علاقات الاختلاف وعلاقات التماثل يستكشف المرء عندئذ نمطين أساسيين من العلاقات: علاقات التعارض (التي تنتج الفاظا تتمايز)، ويحل بعضها محل بعض، وعلاقات الترابط بين العناصر اللغوية التي تصنع سياقا "[121].

إن حديث سوسير عن ثنائية العلاقات دقيق ولا مجال للشك في كونها ثنائية.

ثانيا: ثنائية التزامن والتعاقب:

تحدثنا في ما سبق عن تضمّن اللسانيات الداخلية عند سوسير لثلاثة أمور هي: (اللغة المعينة، موضوعا اللسانيات) وحدد (التزامنية والتعاقبية) منهجين لدراسة موضوع اللسانيات فهما فرعان من اللسانيات، كما صرّح بذلك سوسير[122]، أما التزامنية فهدفها الكشف عن نظام اللغة. وأما التعاقبية فهدفها الكشف عن التغييرت التي تطرأ على اللغة[123].

أما التغيير التاريخي فيبدأ فرديا عنده قبل أن تتقبله الجماعة، فهو إذن فردي النشأة[124]، ولا يوجد في النهاية إلا في الجماعة، وتجليه الأخير هو الذي دفع سوسير إلى ضم الدراسة التعاقبية إلى اللغة لا الكلام[125]، وليس العكس كما توهمه مترجم محاضرات سوسير الدكتور يؤيل يوسف عزيز ومن نقل وهمه عنه[126]، فقد تصوّر الدكتور يؤيل عزيز أن سوسير ضم التغييرات التاريخية إلى الكلام أما التزامنية فهي منتمية إلى اللغة المعينة[127]. وليس كما تصوره كلاوس هيشن أيضا من أن التزامنية تضم اللغة والكلام، أما التعاقبية فليست منهما عند سوسير[128].

ومر الحديث أيضا عن عدم دقة سوسير بإغفاله عنصر المكان وعده مكيفا للنظام لا مؤثرا في بنيته، فهو عنده خارج عن اللسانيات الداخلية.

أما في ما يتعلق بمنهج دراسة اللغة فرأينا أن سوسير يحصر اختياره للمنهج بين بمنهجين هما (المنهج التزامني) و(المنهج التعاقبي) وكلاهما عنده من اللسانيات الداخلية، وأغفل (المنهج الجغرافي) الذي كان من المفترض أن يعين له سوسير حقلا خاصا به بأن يقول بتحديد اللغة المدروسة برقعة جغرافية مفترضة شأنه في ذلك شأن الحالة اللغوية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا صحّ أن عامل المكان لا يؤثر على بنية النظام إلا أنه يكيفه كما يقول سوسير[129] فهذا يجعل (الدراسة الجغرافية للغة) موافقة تماما للدراسة التعاقبية للغة، فهي عنده أيضا لا تؤثر في بنية النظام بل تكيّفه[130] ومع هذا عدّ سوسير التعاقب من اللسانيات التاريخية ومهمته ليست وصف النظام بل وصف التغييرات التاريخية التي تعتري اللغة المعينة.

بمعنى آخر كان من المفترض أن يضع سوسير ثلاثية في اختيار المنهج الملائم لدراسة اللغة، تلك الثلاثية هي:

(المنهج التزامني، والمنهج التعاقبي، والمنهج الجغرافي).

بقي أن نشير ها هنا إلى أن سوسير في أثناء حديثه عن التزامنية والتعاقبية أهمل الحديث عن اللسانيات المقارنة، على الرغم من أنه قد عدها – في موضع سبق، تمت الإشارة إليه – من مجالات اللسانيات. وقد أشار سوسير في مواضع أخرى إلى ذلك، فهو يقول "أما التنوع ضمن لغات تنتمي إلى أصل واحد فأمر يمكن ملاحظته والعود به إلى الوحدة اللغوية "[131]. ورأى أن الوسيلة الوحيدة لإعادة البناء هي المقارنة[132]، وأن إعادة صيغة ما ليس من أجل الصيغة نفسها بل "بلورة وتكثيف مجوعة من الاستنتاجات التي يمكن التوصل إليها بصورة منطقية، من استقراء النتائج التي يتوصل إليها الباحث في كل لحظة. وباختصار: الغاية من إعادة البناء هي تدوين تقدم علم اللغة... "[133]، ثم أشار بعد ذلك إلى أن "إعادة البناء مع أنها تخضع لتصحيح مستمر، ضرورة، لاكتساب نظرة عامة عن اللغة التي يدرسها الباحث ونمطها اللغوي فيها. هي وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها للوصول بسهولة نسبية إلى عدد كبير من الحقائق العامة، السنكرونية والدايكرونية منها"[134].

إن النص الحرفي الأخير المنقول من محاضرات سوسير، لا يدع مجالا للشك في أن المقارنة لها أثر كبير في تفسير كثير من الأمور المتعلقة بالتزامنية والتعاقبية. وتبين لنا أنه عد المقارنة في الفصل الثاني من محاضراته من ضمن مجالات اللسانيات.

يتبين لنا، بعد ذلك كله، أن المقارنة هي ركن ثالث من أركان المناهج اللسانية في حال لو تسامحنا ووافقنا سوسير بإبعاد المنهج الجغرافي من مناهج دراسة اللغة.

فالمناهج عند سوسير التي تدخل في اللسانيات الداخلية هي ثلاثية (التزامنية والتعاقبية والمقارنة) ومع هذا يصرّح في محاضراته عن ثنائية (تزامنية وتعاقبية) تدخل ضمن التصنيف الثنائي للغة[135].

.....

نتائج البحث

توصل البحث إلى جملة نتائج هي:

1. إن الثنائيات سوسير هي مبدأ تصنيفي تبناه سوسير في تحليل بنية اللغة ودراستها، وإن لم يصرّح سوسير بتعريف الثنائيات.
2. كشف البحث أن غرض سوسير من الفصلين الأولين من محاضراته هو أن يكوْنا مقدمات للتوصل إلى هدفه الأسمى وهو التحديد المنهجي للسانيات، وقد تبين له أن تلك المقدمات ذات أبعاد ثلاثية، فقد رأى سوسير، لكي يصل إلى هدفه الأسمى، أنّ عليه أن يميز بين ثلاثة أشياء: هي (ما لا يتسم بالعلمية في دراسة اللغة، وما هو علمي إلا أنه ليس من دراسة اللغة، واللسانيات). ورأى ان مجال اللسانيات يدور في ثلاثة محاور (المقارنة، والتاريخية، وتحديد ذاتها بذاتها).
وقد سوّغ البحث اعتمادا على مبدأ تعالق الثنائيات سبب عدم عد سوسير المعيارية التقليدية ركنا ثالثا مع اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية.
3. لقد صنّف سوسير منهج دراسة اللغة في ضوء ما يدخل في بنية اللغة وما هو خارج عن تلك البنية إلى ثنائية (اللسانيات الداخلية واللسانيات الخارجية). ويمكننا أن نعد هذه الثنائية هي ثنائية كبرى، تضمّن أحد ركنيها وهو (اللسانيات الداخلية) ثنائيات يمكن أن نصفَها بالصغرى، أو المنبثقة من بنية اللغة، تلك الثنائيات هي:
    1. ثنائية اللغة والكلام.
    2. ثنائية التزامن والتعاقب.

والملاحظ على الثنائية الكبرى أنها جاءت بالنظر إلى بنية اللغة وما يحيط بها من الظروف التي قد تؤثر فيها. أما الثنائيات الصغرى فجاءت لتصف بنية اللغة فقط.

وانبثقت من ثنائية اللغة والكلام عند سوسير مجموعةٌ من الثنائيات هي:

أ. ثنائية العلامة اللغوية. (الصورة الصوتية والفكرة).
ب. ثنائية العلاقات الأفقية والرأسية.

فثنائيات سوسير – كما يريدها هو – هي ثنائيات تراتبية، أي متسلسلة كما يصورها المخطط الآتي، بحسب فهمنا المستوحى من كلام سوسير:

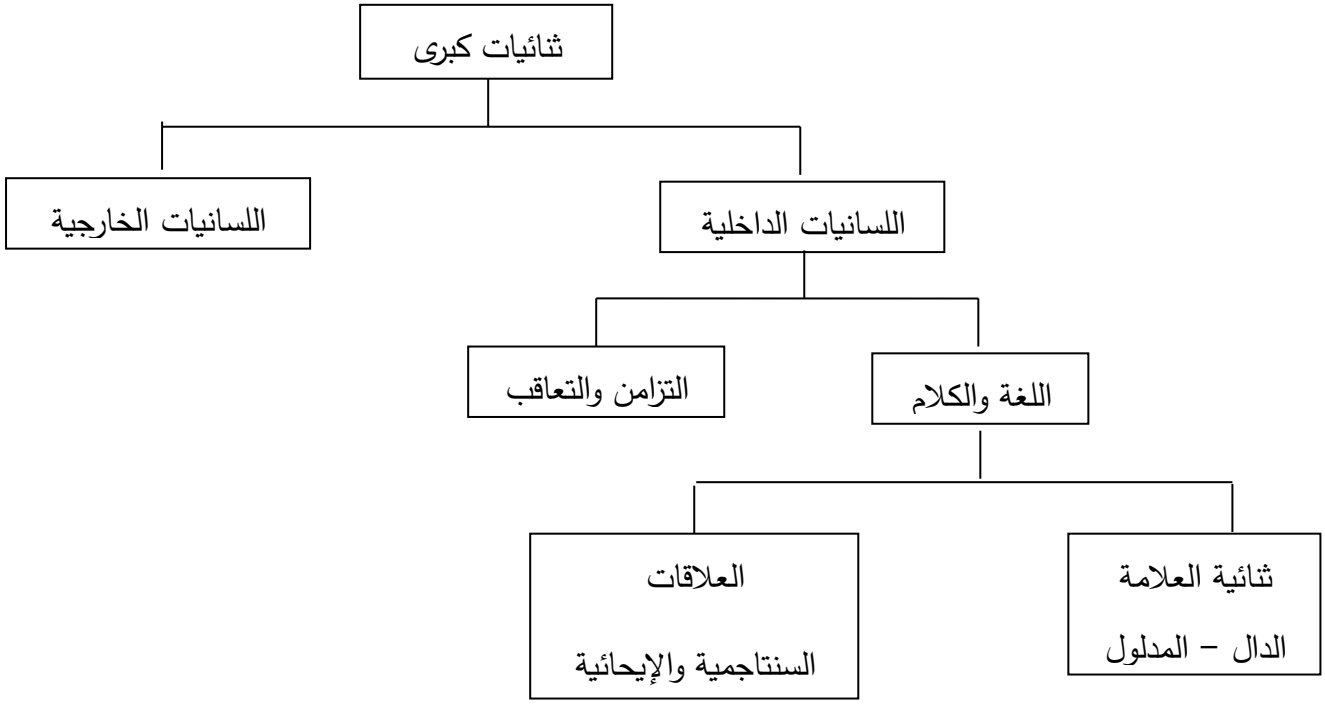

كما أنها ثنائيات تعالقية أي يتعلق بعضها بالآخر، فاللسانيات الخارجية متعلقة باللسانيات الداخلية لما تقدمه لها من فوائد، على الرغم من أنها ليست منها. وأن ثنائية اللغة والكلام متعالقة فلا وجود لأحدهما من دون الآخر، وأن الدراسة التزامنية والتعاقبية متعلقة باللغة لا الكلام. وأن ثنائية العلامة اللغوية – بحسب رؤية سوسير – وثنائية العلاقات الأفقية والرأسية منبثقة من رؤية سوسير إلى اللغة بأنها نظام من العلامات، فهي إذن متعلقة باللغة أيضا.

3. كشف البحث عن أثر مبدأ تعالقية الثنائيات في تسويغ إخراج سوسير بعض القضايا التي تحدث عنها في ثنائياته ولم يضمها إلى ثنائياته تلك، من ذلك عدم عده الدراسة المعيارية ركنا ثالثا مع اللسانيات الداخلية والخارجية، ومنه عدم عده اللسان ركنا ثالثا للغة والكلام. كما أن البحث استثمر هذا المبدأ في مؤاخذة سوسير بعدم إدخاله بعض القضايا التي تحدث عنها في الثنائيات ومع هذا لم يعدها ركنا ثالثا، تلك الأمور هي المرجع بإزاء الدال والمدلول، والقيمة بإزاء الدال والمدلول أيضا، والمكان بإزاء العوامل المؤثرة في بنية اللغة، والمنهج الجغرافي بإزاء المنهجين التزامني والتعاقبي، والمنهج المقارن بإزاء المنهجين التزامني والتعاقبي أيضا.

4. كشف البحث عن تصور الدارسين لثنائيات سوسير ومدى وعيهم بربط هدف سوسير من محاضراته بها، فمنهم من انتبه إلى ذلك الربط وقد اختلفوا في حقيقة هدف سوسير من محاضراته، ومنهم من لم ينتبه إلى فكرة الربط بين هدف سوسير وثنائياته فجاء ذكر الثنائيات عفويا مختلفا الواحد منهم عن الآخر. وعلى أية حال فإن الدارسين لم ينتبهوا إلى فكرة تراتبية الثنائيات وتعالقها بالشكل الذي أشار إليه البحث.
5. توصل البحث إلى أن مبدأ التصنيف الثنائي الذي دعا إليه سوسير هو مبدأ نسبي وليس مطلقا. فقد كشف البحث عن وقوع سوسير في تناقض بين قوله بوجود الثنائيات وتحليله لبنية اللغة ومنهج دراستها وما يدخل في تلك الدراسة، أي إنه وقع في تناقض بين التنظير والتطبيق.

وفي النهاية كان هذا البحث إعادة قراءة لثنائيات سوسير تضمن وصف موقف سوسير من ثنائياته وموقف الباحثين منها، ومن ثم نقد تصور سوسير للثنائيات ونقد من وصف تلك الثنائيات. فإن أجدت فالحمد لله، وإن أخفقت في محاولتي تلك فحسبي أنني اجتهدت، واجتهادي هذا قابل للمناقشة والرد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(1) ظ: علم اللغة العام: 115.

(2) ظ: مدخل إلى علم اللغة، إبراهيم خليل: 82.

(3) نظرية البنائية في النقد الأدبي: 25.

(4) ظ: مدخل للسانيات سوسير: 21–22.

(5) ظ: مدخل للسانيات سوسير: 22.

(6) فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديث وعلم العلامات): 72.

(7) ظ: م. ن: 72.

(8) ظ: م. ن: 72–77.

(9) ظ: م. ن: 78–82.

(10) ظ: م. ن: 82–85.

(11) ظ: م. ن: 85–90.

(12) م. ن: 89.

(13) ظ: م. ن: 90–103.

(14) م. ن: 90.

(15) ظ: م. ن: 91 و97 وغيرهما.

(16) ظ: م. ن: 103–110.

(17) ظ: م. ن: 103.

(18) ظ: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: 95.

(19) ظ: م. ن: 95.

(20) ظ: م. ن: 96–98.

(21) ظ: م. ن: 98–99.

(22) ظ: م. ن: 99.

(23) ظ: م. ن: 101.

(24) ظ: مدخل للسانيات سوسير: 22–23.

(25) ظ: م. ن: 23.

(26) ظ: م. ن: 37–38.

(27) ظ: م. ن: 40.

(28) ظ: م. ن: 41–56.

(29) ظ: م. ن: 55–72.

(30) ظ: م. ن: 73–107.

(31) ظ: م. ن: 108–120.

(32) ظ: البحث عن فردينان دو سوسير: 43.

(33) م. ن: 42.

(34) م. ن: 43.

(35) ظ: م. ن: 67.

(36) ظ: م. ن: 71–75.

(37) ظ: م. ن: 75–106.

(38) ظ: م. ن: 106–118.

(39) ظ: البحث عن فردينان دو سوسير: 118 –121.

(40) ظ: م. ن: 121–128.

(41) ظ: كتاب محاضرات في علم اللغة العام لفرديناند دي سوسير وموقعه في آثار الدارسين، بحث للدكتور كمال محمد بشر، مجلة مجمع اللغة العربية، ج29، صفر 1392هـ–مارس 1972م: 235.

(42) ظ: م. ن: 236.

(43) ظ: أثر محاضرات دي سوسير في الدارسات العربية: 21.

(44) ظ: م. ن: 21.

(45) ظ: م. ن: 22.

(46) ظ: م. ن: 24.

(47) ظ: م. ن: 26.

(48) ظ: م. ن: 29.

(49) ظ: مدخل إلى علم اللغة، د. إبراهيم خليل: 82.

(50) ظ: م. ن: 82–88.

(51) ظ: في لسانيات اللسانيات العربية: 57–61.

(52) ظ: اتجاهات البحث اللساني: 215–220.

(53) ظ: من علماء اللغة فرديناند دي سوسير،بحث في مجلة الأقلام: ج11، س2،تموز/1966م: 97–103.

(54) ظ: 23–25 من الكتاب.

(55) ظ: 307–326 من الكتاب.

(56) ظ: علم اللغة العام: 26.

(57) ظ: أثر محاضرات سوسير في الدراسات العربية: 21.

(58) ظ: علم اللغة العام: 24. والنظريات اللسانية الكبرى: 108. وسوسير رائد علم اللغة الحديث: 18.

(59) ظ: علم اللغة العام: 19.

(60) م. ن: 54.

(61) م. ن: 101.

(62) ظ: م. ن: 101.

(63) ظ: م. ن: 101.

(64) ظ: م. ن: 94 و 95 و96.

(65) ظ: م. ن: 92 و 96.

(66) ظ: م. ن: 40.

(67) ظ: م. ن: 220.

(68) ظ: م. ن: 214.

(69) ظ: م. ن: 39–40.

(70) ظ: م. ن: 40.

(71) ظ: م. ن: 19.

(72) ظ: علم اللغة العام: 27.

(73) م. ن: 19.

(74) م. ن: 27.

(75) م. ن: 154.

(76) ظ: م. ن: 120–121.

(77) ظ: م. ن: 26.

(78) ظ: م. ن: 27.

(79) ظ: م. ن: 37–38.

(80) ظ: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي: 95–96. والبحث عن فردينان دو سوسير: 71. وسوسير رائد علم اللغة الحديث: 20. ومدخل إلى علم اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز: 300–303. وعلم اللغة نشأته وتطوره: 87–88. وفي علم اللغة: 18–19.

(81) علم اللغة العام: 115.

(82) م. ن: 115.

(83) م. ن: 27.

(84) م. ن: 37.

(85) ظ: م. ن: 38.

(86) ظ: م. ن: 33 و 43 و 91 و 92 و 99 و 131 و 132.

(87) ظ: م. ن: 84.

(88)ظ:أثر محاضرات سوسير في الدراسات العربية:14–15.والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان:39.

(89)ظ:أثر محاضرات سوسير في الدراسات العربية:14–15.والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان:39.

(90) علم اللغة العام: 84.

(91) ظ: م. ن: 86.

(92) ظ: م. ن: 87 و 86. وأثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية: 15. والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: 39.

(93) علم اللغة العام: 84–85.

(94) ظ: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: 232.

(95) علم اللغة العام: 133.

(96) ظ: م. ن: 84.

(97) ظ: م. ن: 84.

(98) م. ن: 84.

(99) م. ن: 133.

(100) ظ: م. ن: 134.

(101) ظ: م. ن: 135. وينظر هناك الأمثلة الأخرى التي تجري في السياق نفسه.

(102) البحث عن فرديناند دو سوسير: 88.

(103) البحث عن فرديناند دو سوسير: 89.

(104) م. ن: 89.

(105) م. ن: 89.

(106) علم اللغة العام: 135.

(107) ظ: شرح ابن عقيل: 177/1.

(108) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ضمن كتاب شرح ابن عقيل: 177/1.

(109) ظ: اللمع في العربية لابن جني: 28.

(110) علم اللغة العام: 132.

(111) ظ: م. ن: 136.

(112) ظ: م. ن: 136.

(113) ظ: م. ن: 139.

(114) م. ن: 139.

(115) ظ: م. ن: 142.

(116) ظ: م. ن: 144.

(117) ظ: م. ن: 149.

(118) ظ: م. ن: 147.

(119) ظ: م. ن: 142–143.

(120) ظ: فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات): 25.

(121) م. ن: 25.

(122) ط: علم اللغة العام: 93 و 100 و 105.

(123) ظ: م. ن: 100 و 103 و 104 و 105 و 163 و 164 و235.

(124) ظ: م. ن: 115.

(125) ظ:دروس في الألسنية العامة،سوسير،تعريب صالح القرمادي:151.وتاريخ علم اللغة الحديث: 70. والنظريات اللسانية الكبرى:130.ومدخل للسانيات سوسير :64–66.وعلم اللغة نشأته وتطوره: 98.

(126) أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية: 26.

(127) ظ: علم اللغة العام: 116.

(128) ظ: القضايا الأساسية في علم اللغة: 38.

(129) ظ: علم اللغة العام: 40.

(130) ظ: م. ن: 104.

(131) ظ: م. ن: 219.

(132) ظ: م. ن: 240.

(133) م. ن: 241.

(134) ظ: م. ن: 241.

(135) ظ: م.ن: 115.

مظان البحث

- اتجاهات البحث اللساني، مليكا إفتش، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، مصر، ط2، 2000م
- أثر محاضرات دي سوسير في الدراسات العربية الحديثة، حيدر سعيد عباس مرزة، رسالة ماجستير، كلية الآداب–جامعة بغداد، 1417هـ–1996م.
- البحث عن فرديناند دو سوسير، ميشال أرِفيه، تر: أ.د. محمد خير محمود البقاعي، مراجعة: د.نادر سراج، الكتاب الجديد، طرابلس، ط1، 2009م.
- تاريخ علم اللغة الحديث، جرهارد هلبش، تر: د.سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003م.
- دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، د.ط، 1985م.
- سوسير رائد علم اللغة الحديث، د.محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1990.

- شرح ابن عقيل على ألأفية ابن مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ط، 1426هـ-2005م.
- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك المطلبي، مطبعة بيت الموصل، د.ط، 1988م.
- علم اللغة نشأته وتطوره، د.محمود جاد الرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1985.
- فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديث وعلم العلامات)، جونثان كلر، تر: د.عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، د.ط، 2000م.
- في علم اللغة، د.غالب المطلبي، سلسلة الموسوعة الصغيرة، رقم السلسلة (226)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- في لسانيات العربية، د.صلاح الدين صلاح حسنين، المكتبة اللسانية (الكتاب الأول)، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1432هـ-2011م.
- القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، تر: د.منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2007م.
- القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، تر: د. سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1424هـ-2003م.
- كتاب محاضرات في علم اللغة العام لفرديناند دي سوسير وموقعه في آثار الدارسين، بحث للدكتور كمال محمد بشر، مجلة مجمع اللغة العربية، ج29، صفر 1392هـ-مارس 1972م.
- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، تح: د.فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت د.ط، د.ت.
- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د.نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2006.
- مدخل إلى علم اللغة، إبراهيم خليل، دار المسيرة، عَمَّان، ط1، 1430هـ-2010م.
- مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، دار النمر للطباعة، القاهرة، 1983م.
- مدخل للسانيات سويسر، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987م.
- مناهج اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، بريجيتة بارتشت، تر: د.سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م.
- من علماء اللغة فرديناند دي سوسير،بحث في مجلة الأقلام: ج11، س2، تموز/1966م.
- نظرية البنائية في النقد الأدبي، د.صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط3، 1987م.
- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، مارس-2012م.